

الكاتب المصري



يناير ١٩٤٧

صفر ١٣٦٦

مجلد ٤ - عدد ١٦

السنة الثانية

ما وراء النهر ^(١)

والقراء بالطبع ينتظرون أن أرقى وأن يرقوا معي في صحبة الشاعر إلى القصر لنرى صاحبه العظيم في مكتبه ذاك الذي اتخذته لنفسه سجنًا منذ آخر الليل . ولكنني لن أفعل ، ولن يفعلوا ؛ فهم لا يستطيعون أن يدخلوا القصر ، ولا أن ينظروا إلى أبهائه الفخمة وأثاثه المترف الجميل ، إلا إذا أتحت أنا لهم ذلك . فالربوة كلها بما عليها ومن عليها ، والقصر كله بما فيه ومن فيه ، سر من أسراري أبيع منهما للقراء ما أشاء ، وأخفي منهما على القراء ما أشاء ، ليس لهم أن ينازعوا في ذلك أو ينكروا منه شيئاً . وقد أزمعت ألا أرقى معهم إلى القصر ، ولا أبقى معهم على الربوة استجابة لأصل من أصول الفن كما أراه أنا ، لا كما يراه النقاد . فلو قد رقيت معهم إلى القصر أو بقيت معهم على الربوة لاتصل الحديث اتصالاً يوشك أن يكون مملاً ؛ لأنه يضطرب بهم وبني في هذه الحديقة الفيحاء ، وهذا القصر الفخم ، بين ألوان من الترف وفنون من الحياة الناعمة ، قد يكون وصفها رائعاً ، وقد يكون العيش فيها ، ولو أثناء الأحلام وفي ظل الخيال ، محبباً إلى النفوس ، ولكنه يُبمل إذا اتصل ويسم إذا طال . وليست الحياة ترفاً كلها ولا زينة كلها ، وليس العيش الواقعي أو الخيالي يكسب قيمته من الهجة التي يسبغها الجمال على هذا المنظر أو ذاك من مناظر الطبيعة ، وعلى هذا المظهر أو ذاك من مظاهر الناس . فلهذا كله قيمته ، ولكن للقبج قيمته أيضاً ، وهي ليست أقل من قيمة الجمال شأناً ولا أهون منها خطراً ، ولعلها أن تكون أدعى

(١) الكاتب المصري عدد ١٤ و ١٥ (نوفمبر - ديسمبر ١٩٤٦) .

إلى المنفعة ، وأبلغ اثرًا في إصلاح النفس ، وتقويم الخلق ، وتصويب الحكم على الأشياء . ولست أدري ! هل تعمق ابن المعتز معناه ذاك الذي أوجزه في البيتين المشهورين :

قلبي وثاب إلى ذا وذا ليس يرى شيئاً فيأباه
يهم بالحسن كما ينبغي ويرحم القبح فيهواه

ولكن الشيء المحقق أن القبح خليق أن يعشق وأن تصبو إليه النفوس ، وتقف عنده العقول ، ويستقصى دقائقه الكتاب والمفكرون . وما أظن أحداً يجادل في أن نصيب القبح من حياة الناس أعظم من نصيب الجمال ، كما أن نصيب البؤس من حياتهم أعظم من نصيب النعيم . فالكتاب الذين يُعَنَوْنَ بالجمال والنعيم وحدهما ، ويُعرضون عن القبح والبؤس ، إنما يعنون بأيسر الحياة ويعرضون عن أكثرها ؛ فهم يعلمون ويعلمون الناس ظاهراً من الأمر ، وهم يجهلون ويجهلون الناس بحقائق الأمور وبواطنها .

وأنا بعد هذا كله لا أريد أن أصرف نفسي وأن أصرف القراء عن جمال الربوة والقصر ؛ لأنني كلف بالقبح مشغوف بالبؤس ، وأريد أن أشرك القراء فيما أجد من كلف وشغف ؛ وإنما هي طبيعة الأشياء ومنطق الفن وضرورة الحياة ، كل أولئك يقتضي أن أدع الربوة وقصرها حيناً ، وأن أصحب القراء إلى مكان ليس له حظ من جمال ، وليس لأهله نصيب من نعيم .

فقد رأينا فيما مضى من هذا الحديث أن هذه الربوة الرائعة لا تقوم وحدها على شاطئ النهر ، وإنما تقوم في أسفلها قرية بائسة وضيعة يعيش فيها قوم بأسوأ متضعون . فهذه القرية لم تنشأ عبثاً ، ولم تقم في أسفل الربوة بغير غاية ، وإنما هي مكحلة للربوة . وإن شئت فقل إن الربوة مكحلة لها ؛ فقد اختلط الأمر على حقاً ، فلست أدري أيهما يتم صاحبه ، أيهما الأصل وأيهما الفرع . فهذه القرية هي التي تستغل الأرض وتستثمرها ، وتستخرج منها هذه الثروة الضخمة التي تتيح لأهل الربوة أن ينعموا وأن يترفوا ، وأن يستمتعوا بهذه الحياة الحلوة الفارغة ، وتتيح للربوة نفسها أن تزدان بجملها هذا الرائع الخلاب . فلولا أهل القرية البائسون ما ارتفعت الأشجار في السماء ، ولا انبسطت الأزهار فوق الأرض ، ولا انتشر العشب على هذه الأرض كأنه البسط من السندس والحرير ، كما

يفال ، ولا أتاحت لأهل الربوة هذه الصغار التوافه اليومية التي لا تستقيم بدونها حياة للمترفين وغير المترفين . فالقرية إذن هي الأصل ، وليست الربوة إلا ثمرة من ثمراتها وأثراً من آثارها . ولكن واقع الأمر الاجتماعي غير هذا كله ؛ فقد استقر في نفوس أهل الربوة ، أنهم السادة المالكون ، وأن أهل القرية هم العبيد المملكون ، كما استقر ذلك في رؤوس أهل القرية أنفسهم ، وكما استقر ذلك في القوانين المكتوبة والنظم الشائعة . فأننا إذن معذور إذا اختلط الأمر على فلم أدر أكون الربوة أصلاً والقرية فرعاً ، كما يريد النظام وتزيد القوانين ، أم تكون القرية هي الأصل والربوة هي الفرع ، كما تريد الحقائق الثابتة التي لا يبلغها جدال أو نزاع . وإذا كان غني زيد يكون لفقر عمرو ، كما يقول أبو العلاء ، فقد لا نخطئ إذا عكسا القضية وقلنا إن فقر عمرو يكون لغني زيد . وسواء أكانت القرية أصلاً أم فرعاً ، فإنها قد وجدت في أسفل الربوة ، ولم توجد عبثاً . فلا بد من أن نهبط إليها وإن كرهنا ذلك ، ولا بد من أن نقيم فيها وإن شق علينا هذا المقام . وأنا أريح القراء من مشقة هذا الهبوط ، فلا أسلك بهم تلك الطريق العريضة الطويلة التي تزدهم فيها السيارات مصعدة ومصوبة ، ولا أسلك بهم هذه الطريقة الضيقة التي يزدهم فيها الفلاحون على أقدامهم وعلى دوابهم مصعدين ومصويين ، وإنما أبلغ بهم القرية من غير طريق ؛ لأنني أريد ذلك وأستطيعه ما دام الأمر إلى ، لا إلى أهل الربوة ، ولا إلى أهل القرية ؛ ولا إلى القراء . فالكتاب قديرون على شيء كثير إذا لم يفرضوا على أنفسهم ما يجب النقاد أن يفرضوا عليهم من القواعد والأصول .

نحن إذن في القرية في زقاق ضيق جداً لا يكاد يتسع لسعي اثنين أو ثلاثة إلا أن يتقدم بعضهم بعضاً شيئاً ما ، لتجد أقدامهم موضعها من الطريق . والزقاق قدر أبشع القذارة وأشنعها ، ترى العين فيه كل ما تكره ، ويشم الأنف فيه كل ما يكره . قد عاش اهله عيشة البؤس والضر والإهمال ، لم يُعْنُوا بصحتهم لأن أحداً لم يعلمهم أن الصحة شيء يعنى به الناس . ولم يعنوا بنظافتهم لأن أحداً لم ينبههم بأن النظافة شيء يستحب ولأنهم لو أحبوا النظافة والتسوها لما وجدوا إليها سبيلاً ، قد قصرت أيديهم عن وسائلها وأدواتها قصوراً تاماً ؛ فهم يعيشون كما يستطيعون ، قد اختلط رجالهم ونساؤهم وأطفالهم وحيوانهم ودوابهم اختلاطاً بشعاً بغيضاً . وقد رأيت ما ينشأ عن هذا الاختلاط من الشر والنكر والفساد .

وفي أعماق هذا الزقاق دار منخفضة ليست عظيمة السعة ، ولكنها على كل حال أوسع مما يجاورها من الدور قد انخفض بابها فلا يستطيع الإنسان أن يدخلها معتدل القامة إلا أن يكون قزماً أو طفلاً ، فأما إذا تجاوز القصر إلى شيء من الطول فلا بد له من أن ينحني ليلج من هذا الباب . وهو إذا تخطى عتبة الدار وجد نفسه في فناء له شيء من عمق قد ارتبط فيه حمار وانطلقت فيه دجاجات ، وارتفعت في بعض جوانبه مصطبة صغيرة ضيقة ، جلس عليها رجل قد تقدمت به السن وأدركه الضعف ، وكاد سمعه يثقل فهو لا يفقه ما يلقي إليه من حديث إلا أن يرتفع به الصوت ، وكاد بصره يذهب فهو لا يرى إلا أقرب الأشياء إليه ولا يراه إلا في قليل من الوضوح . وبين يدي هذا الرجل نعال قديمة قد تحقرت وأدركها البلى ، وقطع من الجلد الرقيق والغليظ وأدوات يعمل بها في هذا الجلد وفي تلك النعال . وهو مطرق إلى جلده ونعاله وأدواته ، تعمل يده أحياناً في ترقيع نعل أو إصلاحه وتكفان عن العمل أحياناً ولكنهما لا تسكنان حين تكفان عن العمل وإنما تعبان بما أمام الرجل من جلد ونعال وأدوات .

وقد يأخذ الرجل قطعة من الجلد بكلتا يديه يشدها إلى يمين ويشدها إلى يسار ، وقد يضع طرفاً من أطرافها في فمه كأنه يريد أن يقضمها ، وهو لا يريد قضم ولا التهاماً ، وإنما يريد أن يمتحن متانة الجلد ، فهو يمسك طرفاً منه بما بقي من أسنانه ، ويمسك طرفيه الآخرين بيديه ، وهو يشد إلى هذه الجهة وإلى تلك ليستيقن أن هذا الجلد متين صالح لترقيع هذه النعل أو تلك . والرجل في أكثر أحواله صامت كالمستكلم ومتكلم كالصامت ، لا يوجه إلى أحد حديثاً ، ولا يكاد يجيب إن وجه أحد إليه الحديث ، ولكنه على ذلك متحرك الشفتين دائماً متقلب اللسان في الفم دائماً ، يغتمم بلفاظ لا يسمعها إلا هو والذين يدنون منه أشد الدنو . وهذه الألفاظ غامضة مختلطة ، فهو أحياناً يتحدث إلى جلده ونعاله يصف رثائتها ومئاتها وحاجتها إلى الرق والإصلاح ، وأحياناً يتحدث إلى أدواته يصف مضيها وكلاها وعجزها وقوتها ، وأحياناً يتحدث إلى نفسه فينشد محفوظات له من هذا الشعر العامي الذي تجرى به الألسنة وتسير فيه الحكم والأمثال . وعن يمينك وشمالك إذا تجاوزت عتبة الدار حجرتان ليس بابهما أقل انخفاضاً من باب الدار ، ولعلهما أن يكونا أدنى منه إلى الأرض . فإذا دخلت إحدى هاتين الغرفتين لم تجد فيها إلا حصيراً قد ألقى على الأرض ، وصندوقاً حقيراً قد وضع في زاوية من

زواياها، وجماعة من هذا الخبز العريض الرقيق المستدير تهرُصُّ بعضها إلى بعض وارتفعت في زاوية من زوايا الحجرة كأنها العمود، تأخذ منها الأسرة حين تريد أن تطعم، وما تزال تأخذ منها والعمود ينخفض ويتضاءل، حتى إذا دنا من الأرض عملت محبوبه صاحبة الدار على تجديده ورفعها، فكان إعداد الذرة وإشعال الفرن إلى جانب المصطبة التي يعمل عليها الشيخ، وانطلاق الدخان، ويضطر الشيخ في ذلك اليوم إلى أن يأخذ جلده ونعاله وأدواته ويجلس بها على الأرض أمام الدار. فإذا دخلت الحجرة الأخرى لم ترفيها إلا حصيراً قد ألقى على الأرض، وأعطية رثة قد نثرت هنا وهناك. فأما إحدى الحجرتين فقد كان يأوى إليها الشيخ الإسكاف، ولنسمه محموداً، وامرأته محبوبه. وأما الحجرة الأخرى فقد كان يأوى إليها أبناء الدار وهم ثلاثة أكبرهم أحمد قد نيف على العشرين وكاد يبلغ الثلاثين، وهو فتى طوالٌ مظلم الوجه قوى الجسم قليل الكلام حائر الطرف لا تكاد عينه تستقر على شيء، ولا تراه الدار إلا حين تغرب الشمس وتقدم الليل لأنه يعمل في الحقول. وأصغرهم عليٌّ لم يتجاوز الثانية عشرة بعدد، وهو صبي قد أهمل أشد الإهمال، يلعب إن أتيح له اللعب، ويعمل إن أتيح له العمل، ويسرق إن أتيحت له السرقة. وبين هذين الإبنين من أبناء الدار خديجة هذه التي كادت تبلغ العشرين والتي لم يُدرَ من أين جاءت، ولا لآى أبويها يمكن أن يضاف جمال وجهها الرائع واعتدال قامتها الجميلة، وهذا الخفر الحلو الذي يصدر في دعة وهدوء وأمن عن عينيها الجميلتين، وهذا الحياء العذب الذي يعرب عنه وجهها الهادئ المطمئن، وثغرها الذي يريد أن يبتسم ولكنه يمتنع على الابتسام، وصوتها الممتلئ الرخيم الذي لا يكاد يتكلم إلا همساً، وحرركاتها الرشيقة المترنة المعتدلة التي تدل على حياة قوية دافقة وعلى حياء شديد يمسك هذه القوة أن تندفع إلى أكثر مما ينبغي.

وهذه الفتاة الناعمة الغضة التي لا تلتأم هذه الدار البائسة الخشنه، تعيش بين أبويها وأخويها عيشة صامته أو كالصامته، ساكنة أو كالساكنة، مقبلة في أكثر الوقت على مغزها تديره في أناة ورفق ودعة. فإذا كان موسم الحصاد خرجت مع أترابها من بنات القرية إلى الحقول فصيّفت، كما يقول أهل الريف المصرى، مع المصيفات، وعادت مع الأصيل إلى أهلها بما التقطت من الحب المنتثر في الحقول. وإذا كان موسم القطن خرجت مع أترابها من بنات القرية، فشاركت في جنى

القطن ، وعادت إلى أهلها مع الأصيل ، بما يتاح لها من أجر ضئيل . وقد رآها نعيم فيما يظهر مصيَّفة مع المصيفات أو جانية للقطن مع الجانيات ، فراقه منظرها الرائع في ثيابها الرثة ، فلما أطال النظر إليها اشتد إعجابه بها ثم ميله إليها ، فعاود المرور بالجماعة التي كانت تعمل معها ، ثم حاول الوقوف إلى هذه الجماعة ، ثم حاول الحديث اليسير إلى هؤلاء العذارى ؛ وكان من شأن هذا كله أن يزيد إعجابه بهذه الفتاة وميله إليها وطمعه فيها ، وكان لحظُ الفتاة وصوتها هما اللذان وقعا من نفس نعيم أغرب الوقع وأعظمه وأعظمه في نفسه أثراً ، حتى كتب في دفتر يومياته يقول : « أوشك أن أظن بنفسى الجنون ؛ فإني لا أنطلق في الحقول ولا أتنزه في الحديقة ولا أدخل إلى نفسي في غرفتي إلا رأيت عيناً ساحرة فاترة تنظر إليَّ في أناة وخفر ، فتنفذ إلى أعماق نفسي وتلدع قلبي لذعاً أليماً . وأنا لا أكاد أدخل إلى نفسي في غرفتي أو خارج غرفتي ، في القصر أو بعيداً عن القصر ، إلا سمعت صوت هذه الفتاة يبلغ أذني حلوّاً رقيقاً رقيقاً ، ثم يصل إلى نفسي فيحدث فيها نشوة لا أشبهها بالطرب الذي تحدثه الموسيقى ، وإنما أشبهها بالنشوة التي تحدثها الخمر . لقد استأثرت هذه الفتاة بنفسى . وما أرى أن الأمر سينتهي بينها وبينى كما تعودت الأمور أن تنتهى بينى وبين أترابها من حسان الريف . »

والقراء يعفوننى دون شك من أن أصور لهم ما كان بين نعيم وخديجة من قرب وبعد ، ومن دنو ونأى ، ومن هذه المحاولات الكثيرة المعقدة التي ينسج الحب خيوطها بين المحبين في أناة ومهل ، ثم في اندفاع وعجل ، ثم يأخذهم فيها كما تؤخذ الطير فيما ينصب لها من الشراك .

القراء يعفوننى من تصوير هذا كله ؛ فهم يعرفونه حق المعرفة ، يقرءونه في القصص وفي شعر الشعراء ، ويحده كثير منهم في أنفسهم ويسمعونه فيما يدار عليهم من الحديث . وهم بعد هذا يستطيعون أن يصوروا لشاة هذا الحب بين خديجة ونعيم كما يشاءون ، لاجناح عليهم فيما يبتكرون من صور وما يخترعون من أحداث ، فكل هذا لا يعنينى ولا يعنى القصة في كثير أو قليل ، وإنما الذى يعنينى ويعنى القصة ويعنى القراء هو أن هذين الفتيتين قد وقعا في شرك من أشراك الحب ، فاضطربا فيه قليلاً أو كثيراً يحاولان أن يخلصا منه وأن يعودا إلى الأمن والحرية وفراغ البال . ولكن إفلات العاشقين من أشراك الحب ليس أقل عسراً من إفلات الطير من أشراكها حين نفع فيها . فقد كان إذن ما لم

يكن بد من حدوثه ، ونظر الفتى المترف الغنى القوى الموفور فإذا هو أسير خديجة بنت حمود الحذاء .

ونظرت الفتاة البائسة اليائسة المطمئنة إلى بؤسها ويأسها ، فإذا هي مولهه بحب هذا الفتى ، الفتى المترف الغنى القوى الموفور . وكان الفتى يخلو إلى نفسه فيلقى نظرة من أعلى ترفه وشرفه وغناه إلى بؤس خديجة ويأسها وإعدامها ، فيأخذ شئ يشبه الدوار ، كيف هبط من أعلى عليين إلى أسفل سافلين !

وكانت الفتاة ترفع بصرها من أعماق يأسها وبؤسها وإعدامها في دارها تلك الحقيرة الفقيرة ، إلى هذا القصر الشاهق على هذه الربوة الشاخنة ، فيأخذها شئ يشبه الدوار حين تفكر في أن الحب قد وثب بها إلى ذلك الفتى المترف الغنى القوى الموفور . ولكن الناس جميعاً يعلمون أن الحب لا يحتقر شيئاً كما يحتقر الرفعة والوضعة ، ولا يسخر من شئ كما يسخر من تفاوت المراتب والطبقات . وهو قد هبط بالفتى إلى الفتاة أو صعد بالفتاة إلى الفتى ! لا أدري ولكنه جعل كلاً منهما لصاحبه سيداً وعبداً . وقد انتهى أمر هذا الحب إلى أبوى نعيم ، فابتسم له أول الأمر ، لم يريا فيه إلا لوناً من عبث الشباب وسخرامنه بعد ذلك ، لم يريا فيه إلا شيئاً من الجحوش في العبث ، وضاق به بعد ذلك ، رأياً فيه غلواً من الفتى في هذا الجحوش وصارفاً له عما يليق بمثله من الطموش إلى العظيم من الأمر ، وأخذاً ينصحان للفتى في رفق ، ثم في عنف ، ثم في إلحاح .

ولكن أبا الفتى غلا في إلحاحه وسخطه حتى انتهى الأمر إلى ما علمت . وانتهى أمر هذا الحب إلى أم خديجة ، فانتسبت له ابتساماً مرّاً ، وفرحت به فرحاً حزيناً ، وهمت أن تكفّ ابتها ، ولكن نصحتها لم يغن شيئاً ، وهمت أن تكتم الأمر على الشيخ الحذاء ، ولكن لسان النساء لا يحب أن يستقر في أفواههن ، وهم الشيخان أن يكفّ الفتاة ، فلما لم يبلغ شيئاً توأصيا بكتان الأمر على انهما الفتى لأنه كان عنيفاً مخوفاً . والأمر ينتهي إلى غايته ، وهذا نعيم قد فتن بخديجة إلى أبعد حدود الفتنة ، فهو يعدّها ويمنّيها ، وهو يرغبها ويفريها ، وهو يحتفظها آخر الأمر إن صحّ أن يكون سفرها إلى العاصمة اختطافاً ، فهي لم تكذب تدعى إلى السفر حتى استجابت للدعاء مسرعة واستعدت له متهاككة ، وارتفع الضحى ذات يوم فلم تر الأسرة خديجة ، وتقدم النهار فلم تعرف من أنبأها شيئاً ، وأقبل الأصيل فلم تعد معه إلى الدار ، وتقدم الليل فلم تعد ، وإنما عاد أخوها أحمد نائراً

يكظم ثورته ، وفائراً يكتم فوره . أقبل متجهما فلم يقل كلمة لأحد ، ولم يلق نظرة على أحد ، وإنما ألقى أدوات عمله في مكانها من الدار ، واندفع إلى حجرة أبويه فأخذ من عمود الخبز شيئاً التهمه التهاماً وهو قائم لا يقول شيئاً ولا يردُّ على أحد حديثاً . فلما التهم ما كان في يده من الخبز ألقى نظرة غاضبة على ما حوله ومن حوله ، ثم أدار ظهره ومضى صامتا لا يقول شيئاً ولا يلوى على شيء . قالت محبوبه لزوجها الحذاء في صوت مرتعد حزين : ما باله ؟ وما الذى عرض له من الخطب ؟ قال الشيخ في صوت هادئ ثابت يشيع فيه الحزن والغضب معا : افتقد أخته فلم يجدها ، وتراعى إليه بعض ما طويينا عنه من الحديث . قالت محبوبه : وإذن ؟ قال الشيخ : وإذن فهو يسعى في أثر أخته ، وما أدري ! لعله لا يعود .

والناس يتمنون ويسرفون في التنى ، والأقدار تعبت بهم وبما يتمنون . ذلك أن الناس لا يعرفون إلا أنفسهم قليلا مما يحيط بهم من الظروف ؛ فهم يدبرون ويقدرّون في دائرة ضيقة لا تكاد تتجاوزهم إلا قليلا . وآية ذلك أن نعيما كان قد دبر أمره فأحسن تدبيره ، وقدّر خطته فأحسن تقديرها . لقد أحب الفتاة حبا لم يجرب ، مثله من قبل على كثرة ما جرب من العتب والهوى والحب أيضاً ؛ فهو مصمم على أن يحدث حدثا ذا خطر وهو المترف الغنى القوي الموفور . سيهبط إلى هذه الفتاة اليائسة البائسة الفقيرة الحقيرة ، فيتخذها لنفسه زوجا ويقسم بينها وبينه ما أتيح له من ترف وشرف وقوة وثراء . وهو قد قدّر غضب أبويه وعرف كيف يستعد للتخلص من أعقاب هذا الغضب . وهو قد قدّر ما بينه وبين الفتاة من اختلاف المنزلة وبعد الأمد ، وعرف كيف يستمد لإلغاء هذه المسافة البعيدة . أليس قد اختطف الفتاة فباعدها بينها وبين قريتها وبيتها وأهلها ليخلقها في العاصمة خلقاً جديداً ! لقد دبر وقدّر وأحسن التدبير والتقدير ، واطمأن إلى أنه بالغ بحبه ما أراد له من الأمن والثقة ، ومن الدعة والهدوء . ولكنه لم ينس إلا شيئاً واحداً ، وهو أن لهذه الفتاة أخا في مثل سنه ليس مترفا ولا غنيا ولا قويا ولا موفورا ، وهو من أجل ذلك حاقد حائق ، قد ملأ السخط قلبه وملك الغيظ نفسه ، فراه الناس إنسانا منلهم يندو ويروح ويعمل في الحرث والزرع ، ورأته الطبيعة شيطانا مريداً ينتظر أن تتاح له الفرصة ليملأ الأرض من حوله شراً ونكراً . وقد أتيحت له الفرصة ؛ فهذه أخته التي

كان يجبها وحدها من دون الناس ويؤثرها بقلبه كله ونفسه كلها، قد غوت وهوت . أغواها ذلك الفتى المترف الغنى القوى الموفور . وإذن . . . وإذن ففي نفس الوقت الذى انصرف فيه نعيم عن الشاعر فرحاً حزيناً ومسروراً كئيباً ، ونهض الشاعر فيه مسرعاً يرقى إلى القصر ليلقى صاحبه فى مكتبه ذاك ، فى نفس هذا الوقت وقبل أن يصل الشاعر إلى صاحب القصر يستفيض فى القرية الحقيمة الفقيرة البائسة نبأ يملؤها خوفاً وروماً ؛ فقد لحق أحمد بأخته فى العاصمة وقتلها وأسلم نفسه للشرطى معترفاً بأنه اقترف هذا الإثم دفاعاً عن عرضه المكشوم .

فلندع القرية تتسامع بهذا النبأ وتبادل الحديث فى تفسيره وتأويله ، ولندع الأبوين وقد اخذتهما الصاعقة حين أتاهما هذا النبأ ، ولنعد مسرعين فنصعد إلى الربوة من أقصر الطرق المؤدية إليها ، فسنرى الشاعر قد ارتقى سلم القصر . ولم يكذب بل يبلغ اليهو الأول من أبهائه حتى رأى نفسه فى مرآة هناك ، ورأى أنه معتدل القامة يمشى على اثنتين ، فما أسرع ما ينحنى على العصا ، وما أسرع ما يدور فى رأسه هذا البيت كأنه يسمعه من صاحب القصر :

وتقول بوزع قد دببت على العصا هلاً هزئت بغيرنا يا بوزع

ط مسين

[يتبع]